من الشعر إلى الرواية إلى القصة القصيرة جدا (الأسباب والدوافع)

طالبة دكتوراه: ليندة بن عباس

جامعة محمد البشير الإبراهيمي _ برج بوعريريج

الملخص:

لقد شكل النظر إلى الشعر والنثر في سياق صراعهما في احتلال المركزية في الثقافة العربية مجالا خصبا للدراسات والأبحاث، فمن المعروف أن الشعر ظل منذ القديم ديوان العرب الأول رغم أنهم أبدعوا في فنون أخرى ولكن مع بداية تشكل الدولة العربية الإسلامية وما صاحبها من تحولات ساهمت في رد الاعتبار إلى فن النثر هذا الأخير الذي لطالما رافق الشعر وسايره وإن كان يعاني نوعا من التهميش مقارنة مع الاهتمام الذي حظي به الشعر ولعل ذلك راجع إلى اعتماد النثر على الكتابة وبالتالي انعدام التدوين وضياعه، في حين أن الشعر كان يرتكز على المشافهة التي كان لها الفضل في وصول كم هائل من الأشعار إلينا، ولكن مع مرور الزمن ووصولا إلى العصر الحالي تغيرت الأنظار وانقلبت الموازين حيث صار النثر ديوان العرب الأول ممثلا في الرواية التي اعتلت عرش الفنون الأدبية عامة والنثرية خاصة نظرا لارتباطها بالإنسان وقضاياه فقد وجد فيها كل من الروائي متنفسه ووجد فيها القارئ ذاته، لتليها في الظهور القصة القصيرة جدا التي بدأت تظهر بذورها أكثر في العصر الحالي نتيجة توافقها مع متطلبات العصر.

الكلمات المفتاحية: الشعر، النثر، السرد، القصة القصيرة جدا، الأجناس الأدبية.

Résumé

Le regarder sur la poésie et de la prose dans le contexte de leur conflit dans l'occupation centrale dans la culture arabe forment un terrain fertile pour études et les recherches, on sait que la poésie est resté depuis l'ancien temps le premier recueil des Arabes, bien qu'ils ont excellé dans beaucoup d'autres arts, mais avec le début de la forme de l'État islamique arabe et les transformations qui en découlent ont contribué à redonner de la valeur à l'art de la prose, ce dernier qui a toujours accompagné la poésie bien qu'il souffrait d'une sorte de marginalisation par rapport à l'attention accordée à la poésie et c'est dû peut-être à la dépendance de la prose de l'écriture, et donc le manque de la conservation et la perte, tandis que la poésie était basée sur l'oralisation grâce à qui d'énormes quantités de poésie nous sont parvenues, mais avec le temps jusqu'à l'ère actuelle le point de vue à changé et la situation est renversée, la prose (récit) est devenue le premier recueil des Arabes d'abord représentés dans le roman, qui éleva plus haut sur le trône des arts littéraires en général et en particulier la prose en raison de l'association avec les êtres humains et leurs problèmes, où il a trouvé à la fois le romancier sa liberté et a trouvé le lecteur lui-même, suivi par l'apparition de la Nouvelle dont les graines commencent à pousser dans l'ère actuelle en raison de sa compatibilité avec les exigences de l'époque.

Mots-clés: poésie, prose, roman, la nouvelle, genres littéraires.

اتجهت العملية النقدية والبلاغية العربية منذ القديم وحتى أوسط هذا القرن إلى الاهتمام بأنواع معينة من الإبداعات، في حين تم إغفال إن لم نقل تجاهل أنواع أخرى حيث « إن ما وقع عليه التركيز، وعرف أكبر قسط من الاهتمام تتوفر فيه شروط ملائمة للتصور النقدي والبلاغي، وهذه الشروط لم يكن العرب يرونها في الإبداعات اللفظية التي تم إهمالها والتغاضي عنها»[1]، وهو ما يجعلنا نطرح تساؤلات عدة حول هذا الموضوع؛ هل استطاعت الرواية وغيرها من الأجناس السردية الأخرى وعلى رأسها القصة القصيرة والقصيرة جدا أن تسحب البساط عن الشعر؟ وإذا حدث ذلك فعلا فهل هذا يعني زوال الشعر كجنس أدبي وهل زال بالفعل؟

للإجابة على تلك التساؤلات لابد من العودة إلى تاريخ الأدب العربي إلى الأيام التي كان فيها الشعر هو الديوان الأول لمعرفة الأسباب التي جعلته يحتل الريادة، وكذا الوقوف عند الأسباب الأخرى التي جعلت النثر يتراجع مقارنة مع الشعر في تلك الفترة ولماذا انقلبت الموازين خلال هذه السنوات الأخيرة بالتحديد؟

إن للأدب العربي أثر بالغ في حياة الأمة العربية والإسلامية فقد كان عاملا أساسيا في نشر الدين والتمسك به، كما أنه « ينهض بعبء الثقافة العامة ويصل بها إلى طبقات الشعب متوسلا إلى ذلك بالكتب المؤلفة والصحافة السائرة والقصص الجميلة والدواوين العظيمة وكل وسيلة قلمية أو لسانية، وهو يؤديها بطرق شتى، فهي مرة حقائق خالصة في العلوم والفلسفات، ومرة حقائق تعينها العاطفة وتكسبها قوة وجمالا كما في التاريخ والنقد وتارة عواطف قوية تستند إلى حقائق الحياة فتبعث في العقول يقظة وفي الخيال سموا وذلك شأن الروايات والقصص والخطابة ونحوها من فنون الأدب الجميل»[2] وكما هو معلوم أن الأدب العربي أو الأدب بصفة عامة كان ولا يزال محكوما بعدة جوانب تأثر فيه وتتأثر به سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو حتى فنية وجمالية وبناء على ذلك كان يحدث في كل مرة نوع من التركيز على أنواع أدبية في حين تعاني أنواع أخرى التهميش وأحيانا يحدث العكس تماما فما كان مهمشا يصير هو المركز وما كان مركزا يصير مهمشا؛ أي أن هناك جدلية وصراع بين الأنواع الأدبية في احتلال المركز والأكيد أن هناك عوامل وأسباب تكون دائما وراء ذلك.

1_ من الشعر إلى الرواية:

مما لاشك فيه أن الأدب ينقسم إلى نوعين لا ثالث بينهما فهو إما أن يكون شعرا أو نثرا مع انطواء كل منهما على أنواع وأجناس فرعية، وقد اختلفت الآراء وتضاربت في أسبقية أحدهما على الآخر فهناك من يرجع الأسبقية للشعر ويبرهن على صحة القول بالكم الهائل للأشعار التي وصلتنا مقارنة مع النثر ويعلل ذلك بالقول أن الشعر كان ينشد وبالتالي سهولة الحفظ والتداول بين الناس وهو ما ضمن له البقاء حيث يقول ابن رشيق« ... ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره»[3] بعكس النثر الذي ضاع منه الكثير بسبب صعوبة الحفظ وغياب التدوين الأمر الذي جعله يعاني نوعا من التهميش على مدى العصور الماضية وعدم الاهتمام به وبالتالي قلة الدراسات والبحوث المنجزة حوله بالنظر إلى ما أنجز حول الشعر، فمنذ القديم وحتى عصرنا الحالي انصب الاهتمام على الدواوين الشعرية بالدراسة والتطبيق والتحليل والتأليف، فقد اعتبر هذا الأخير (الشعر) ديوان العرب الأول كما أنه احتل صدارة الأنواع الأدبية ومركزيتها، وقد كانت هذه المركزية التي حظي بها مستمدة من الثقافة الشفوية بعكس الشق الثاني من فنون الأدب (النثر) أو ديوان العرب الثاني الذي وإن لم يحظى بالعناية نفسها لكنه ظل يزاحم الشعر على مكانته رغم التهميش وعدم الاهتمام به، فقد كان القول السائد والشائع أن الشعر «... أكثر ما يعتمد على عاطفة الشاعر وشعوره وخياله وأما النثر فأكثر ما يعتمد على العقل والمنطق والمعاني ومن هنا كان الشاعر يغذي المشاعر والخيال أكثر مما يغذي العقل والنثر عكس ذلك»[4]، لكن ما نلاحظه في الآونة الأخيرة هو حدوث العكس فقد حدث انقلاب في الموازين حيث أصبح النثر هو ديوان العرب الأول بل صار في كثير من الأحيان يحتل مكانة أسمى من الشعر سواء على مستوى الإنتاج أو التلقي خاصة مع اعتلاء الرواية عرش الأدب وما حققته من شهرة ولكن السؤال المطروح هنا هو لماذا هذا التحول في احتلال المركزية من قبل النثر أو بمعنى آخر لماذا خف الاهتمام بالشعر ؟ و ما هي الأسباب والدوافع التي كانت وراء التحول؟.

إن الفرق بين الشعر والنثر يتمثل في أن« الأول أشد اتصالا بالعواطف، والأدوات الفنية وهذه بطيئة التطور تعوزها تجارب شتى، وأوقات طويلة تستحيل وتنشأ ملكات جديدة في التصوير والتعبير لذلك كانت الطفرة فيه شذوذا»[5] فالشعر كان ولا يزال متصلا بالعاطفة كما هو معروف عنه منذ القديم، كما أنه محكوم بقواعد معينة لا ينبغي له الخروج عنها وهو ما يحدث نوعا من العرقلة في التطور ومواكبة التغيرات المستمرة، أما النثر« فإنه سريع التحول،

مستعد لنسيان الماضي والانفصال عنه وترك تقليده إذا ما ظهر على جديد صائب، فإذا لا حظنا أن الشعر ادخل في باب الفنية من النثر استطعنا أن نقول إن النثر أطوع لعوامل التطور وأسرع خضوعا لأسبابه، و أوضح تمثيلا لعصوره في تاريخ الأدب»[6] فالنثر بعكس الشعر تماما لا تحده قيود أو ضوابط وهو الأمر الذي جعله أكثر انفتاحا على أبواب التطور وقد أرجع الدكتور أحمد الشايب أسباب قابلية النثر إلى التجديد باستمرار بخلاف الشعر إلى:

«1_ النثر في الأصل لغة العقل يقرر قضاياه ويسجل نتائجه والشعر لغة العاطفة غالبا يصورها ويثيرها، والعقل أسرع إلى التطور وأقل لعوامل الرقي لأنه تفكير نظري غير مقيد بعرف ولا تقاليد بخلاف العاطفة التي تتجاذبها تقاليد طبيعية واجتماعية تبطئ سيرها»[7] ولعل هذا السبب من الأسباب الأساسية التي جعلت النثر يمضي قدما محاولا لفت الانتباه إليه بخلاف منافسه الشعر فإحكام العقل ولاعتماد عليه يبعث هناك نوعا من حيوية ونشاط مما يفتح آفاق جديدة للإبداع والابتكار بخلاف العاطفة التي لابد لها دائما من دوافع وأسباب حتى تهيج ليكون هناك نوع من التجديد ، أما السبب الثاني الذي كان وراء تراجع مكانة الشعر مقارنة مع النثر فتتمثل في:

«2_ أن الشعر أدخل في باب الفن من النثر والفن يقوم على الماضي إلى حد كبير، بتأثر نماذجه، وبتمثل آثاره بخلاف العلم فإنه يتخذ موضوعاته من الواقع الجاري وصلته بالماضي صلة متابعة واستمرار أكثر منها أخذا واستلهاما فالشعر يلتفت إلى الوراء والنثر يلتفت إلى الأمام وذلك يدفع بالنثر قدما بقدر ما يقف بالشعر فالأوزان ثابتة غالبا والصور الخيالية لا تكاد تتغير والقصيدة كما هي والعبارات يصيبها جمود في كثير من الأحيان»[8] والمقصود هنا بالعلم هو النثر كونه يعتمد على العقل، إضافة إلى أنه يجمع بين الحاضر والماضي للسير قدما فهو لا يمكنه الاستغناء عن الماضي كونه الأصل كما أنه لا يمكنه أن يتجاهل الحاضر فهو يتخذ من مستجدات العصر مادة خصبة لإثارة قضايا تمس كافة مناحي الحياة .

«3_ الصورة الفنية للشعر بطيئة التحول لبطء التحول النفسي للشعراء ولهذه الخصائص الموسيقية الثابتة والتقاليد الموزونة والأخيلة المبلورة ولكن الأمر في النثر أيسر لتحلله من ذلك ولحرية التصرف في أساليبه، لذلك نجد في التاريخ الأدبي اختلاف العبارات والشخصيات عند الكتاب أكثر منه عند الشعراء في دائرة التقليد والقيود»[9] فالشاعر مقيد دائما ومربوط بحالة شعورية واعتماد الأخيلة إضافة إلى الالتزام بالأوزان وهنا يكون مجال الشاعر محدودا.

« 4_ إن الشعراء لاعتزازهم بمواهبهم الفنية لا يعنون كثيرا بالثقافة عناية الكتاب الذين يتعلقون بها بحكم اتصالهم بالحياة الجارية وذلك يجعل الكتاب أشد مجارة للحياة وأقبل للديموقراطية، وأما الشعراء فيخضعون لارستقراطية نفسية وفنية تعوضهم عن مسايرة الواقع السريع»[10] فالنثر ذو مجال واسع يشمل واقع الإنسان اليومي و يرصد تدفقاته الوجدانية كما أنه يرسم إستراتجيته الفكرية والجمالية .

لقد شكل النظر إلى الشعر والنثر في سياق تنافسهما وصراعهما في احتلال الصدارة والمركزية في الثقافة العربية مجالا واسعا فتح العديد من الآفاق بين النقاد والدارسين الذين راحوا يبحثون ويعللون أسباب التركيز على أحدهما دون الآخر فمنذ القديم وحتى الآن« ظل الشعر العربي، ولأمد طويل جدا (ديوان العرب) ورغم كون العرب أنتجوا فنونا وأجناسا أخرى فقد ظلت صورة الشعر وأسبقيته منطبعة في الوجدان العربي لكن منذ بداية تشكل الدولة العربية الإسلامية وما صاحبها من تطورات وتغيرات ظهرت الحاجة إلى بروز فن آخر(النثر الفني، الكتابة) وبدأ يحتل المكانة الأساسية المنافسة»[11] بل صار من أهم القضايا والموضوعات التي بدأت تستقطب اهتمام الدارسين والباحثين العرب خاصة في السنوات الأخيرة ف« منذ بداية الخمسينيات والنص القصصي يشهد تحولات واضحة في بنيته وصلت إلى ذروتها مع النص المعاصر، حيث تحول من فن(الحكي) إلى فن يستوعب أدق تفاصيل حياتنا وخبراتنا الإنسانية في صورة تقترب به من الفنون الأخرى التي لا ترتكز على دلالة جاهزة بقدر ما تثير في المتلقي (حالة سردية)[12] فالنثر الفني لم يصل إلى ما وصل إليه الآن من مكانة إلا بعد مرور قرون وسنوات من التطور في أنماط الحياة المعيشية ف« السرد عند العرب هو الذي شكل مخيال المجتمع وليس الشعر، الشعر كان وما زال هو فن الخاصة، فن الصالات والقاعات والقصور والبلاطات، فيما كان الفن السردي كألف ليلة وليلة والسير الشعبية والحكايات الخرافية هو الفن الذي غزا العامة فشغفت به ووجدت فيه أحلامها وتطلعاتها فمن الطبيعي أن تتغير العصور»[13] ولعل هذا سبب آخر يضاف إلى الأسباب السابقة التي جعلت الإقبال على النثر بكثرة كونه ليس حكرا على فئة معينة دون أخرى بل هو متاح للجميع إلى جانب أنه كان أكثر مرونة من الشعر، ومجالا واسعا أقدر على معالجة مختلف القضايا والموضوعات، فقد أضحى السرد الآن « الفضاء المميز الذي ينكشف فيه "أسلوب حياة الناس"(ريموند ويليامز) وكذلك "التجربة البشرية" (بول ريكور) عندما تأخذ شكل الحبكة السردية، إذ من دون ذلك لا تكون تلك التجربة سوى خرساء وفاقدة للشكل فالفرد لا يعثر على هويته إذا لم يستطع أن يتشكل داخل ما يرويه ، وإذا كان هذا يبدو صحيحا على صعيد

الفرد، فإنه يبدو كذلك على صعيد الجماعات وعلى صعيد الأمم والشعوب » [14] وقد ساعد على كل هذا ظهور أجيال جديدة عملت على الابتكار والتجديد من خلال إحياء التراث وبعثه في أشكال سردية متنوعة ومتطورة إلى جانب الانفتاح على ثقافات الشعوب والأمم الأخرى، فقد غدا السرد محورا أساسيا للكثير من النظريات والتيارات النقدية والفلسفية العربية والغربية وهذا الوعي بالسرد (النثر) والانتباه إليه على حد قول سعيد يقطين « جزء من الأبعاد والمرامي البعيدة التي نريد تحقيقها من خلال إعادة النظر في تصوراتنا الأدبية القديمة وامتدادها في عصرنا الراهن، وتجديد رؤيتنا إلى الإنتاج العربي في مختلف مستوياته وتجلياته»[15] ومن هنا صار الحديث على ضرورة «اعتبار السرد رديفا للشعر العربي، وأن شخصا آخر يزاحم الشاعر المكانة هو الراوي ومعنى ذلك أننا سنعطي لمظهر ووجه آخر من النشاط أو الإنتاج الذي ظل مغيبا ومهمشا ردحا طويلا من الزمن»[16]، بل بات هو الأخيرا يفرض نفسا فرضا تعسفيا لا اختيارا كون الكاتب دائما يستجيب لرغبات القارئ ومتطلباته.

عرف العرب أشكالا عديدة من السرد (النثر) كالقصص والحكايات الخرافية والنوادر والأخبار وكل هذا يدل على أن الحكي فطرة إنسانية، ولا يمكن الحديث عن السرد دون التطرق إلى فن الرواية التي باتت الآن من أقوى الأنواع الأدبية من حيث الحقيقة الكتابية الفنية لنظرا لارتباطها بالإنسان وقضاياه فقد استطاعت أن تزاحم الشعر في ريادة الأنواع الأدبية حيث أنها أفادت من كل الضروب حيث أن« فنية السرد الروائي الحديث في تشكله عالما روائيا قواعد وتقنيات تخصه وتميزه بصفته الروائية، وتختلف عن فنية تشكل عالم المقامات مثلا، أو عن قواعد وتقنيات تخص وتميز بنية الحكاية الشعبية، دون أن يعني ذلك قطيعة بين فن الرواية وبين هذه الفنون السردية الأخرى، وعدم إفادة الرواية منها»[17] فهي تضم في طياتها اختصارا لأشكال وفنون أدبية عديدة بما فيها الشعر ف« إذا كان الشعر هو الفن القولي الذي احتل مكان الصدارة بامتداد العصور الكلاسيكية، باعتباره حامل قيم تلك العصور فإن الرواية هي الفن القولي الذي بزغ مواكبا لظهور الطبقة البورجوازية في العصور الحديثة ووصولا إلى ذروة نضجها بامتداد القرن الثاني، والذي يعد بحق الأب الشرعي لظهور الفن الروائي بعد أن اكتملت ملامحه على أيدي كوكبة من ألمع الروائيين في تاريخ الأدب»[18].

حتى وإن اختلفت الآراء حول أصول هذا الفن بين وجوده في التراث العربي واعتباره امتداد لفن القص وبين اعتباره وافدا من الغرب، أيا كان أصلها فإنها غدت الآن من أبرز الأشكال السردية، فقد احتلت المركز الأول في المجال الإبداعي العربي وحتى الغربي سواء بالنسبة للأدباء الرجال أو النساء وذلك لاتصالها بالواقع إلى جانب قدرتها على معالجة الظواهر النفسية

والشخصية والتاريخية للفرد والجماعة على حد سواء أو الإنسان بصفة عامة فقد« التفت حوله بهدف احتواء همومه واهتماماته وآماله، بفضل امتلاكها تقنيات فنية وقيم جمالية، تكفل لها استنطاق النوازع الإنسانية الكامنة، داخل الذات الواحدة أو الذوات المختلفة» [19] فقد أضحت الصدر الرحب الذي يجد فيه الروائي وحتى القارئ متنفسه كونها تعالج مشاكله وتعبر عن ذاته وآماله وطموحاته وخيبات أمله « فالرواية جنس سردي بات منفتحا على الحياة وتغيراتها وديناميكيتها ولها القدرة على الاستعانة بكثير من المكونات الفنية والأدبية والثقافية المتعددة والتي تقع في منطقة موازية لها ودمجها في متنها، وهذا ما جعلها في كل الآداب القومية المحلية والعالمية جالبة للاهتمام»[20] وقد حظيت الرواية بهذه المكانة نتيجة اقترابها من حياة الناس عامة دون تميز« وبهذه الخصائص الفنية ينفتح عالم الحكاية الخاص على عالم الإنسان العام ... أو هي الفنية الروائية التي ترتقي بالمروي الخاص إلى العام» [21]، فقد عبرت عن الطبقة الوسطى والمهمشة وبينت معاناتها ، كما تطرقت إلى الطبقة الغنية وأبرزت بذخها وترفها، فقد مست جميع شرائح المجتمع، هذا فضلا عن قدرتها على الغوص في أعماق النفس البشرية ومحاولة معالجة مشاكلها ف« الرواية الناضجة هي التي تتفاعل عناصرها داخل الوجدان بتأثير من أحداث مأساوية معاشة في زمن حار، مما يدفع على قراءة الرواية وعليه فبقدر ما يكون التعامل مع الواقع بعمق بقدر ما يكون لإنتاج جماليات ذلك الواقع في مجال الرواية أكثر إقناعا وأوفر تأصيلا»[22] ولعل أهم ميزة فيها هو كونها مجالا للتعبير عن المسكوت عنه والخوف من الكشف عنه علنا حيث أن هناك العديد من الروائيين يتخذون أبطال وشخصيات رواياتهم قناعا يتخفون وراءه لإرسال رسالة معينة أو لمحاربة ومعاداة ظاهرة غير محببة وغيراها من القضايا.

2_ من الشعر و الرواية إلى القصة القصيرة جدا:

يعد العصر الذي نعيش فيه الآن عصر السرعة والتكنولوجيا بامتياز، الأمر الذي جعل الإنسان دائما في عجلة من أمره في كل شيء حتى على مستوى الكتابة والقراءة، لذا كان لا بد من ظهور جنس أدبي جديد يستوعب كل المتغيرات ومجريات الحياة الحضارية المختلفة، إذ عرف المشهد الأدبي في السنوات الأخيرة انتشارا واسعا لفن جديد وإن اختفلت الآراء في جدّيته ، وهو فن القصة القصير جدا هذا الفن الذي يعد شكلا ونمطا آخر من أشكال القصة بصفة عامة أو بالأحرى تفرعت عنها، لكنها تختلف معها في الأدوات البلاغية والتركيبات اللغوية؛ فهي تجنح إلى الحجم القصير المحدود والتكثيف والايجاز والاختصار ولعل هذا ما جعلها أقرب الفنون الأدبية إلى جمهور القراء وذلك لإمكانية قراءتها وفهم مضمونها في وقت قصير جدا

بخلاف الفنون الأخرى التي تحتاج إلى وقت طويل لقراءتها، وبالتالي مواكبتها لحياة المجتمع وتحولاته وتطوراته التي يشهدها كل يوم، إضافة إلى أنه ثمة العديد من العوامل التي كانت وراء بروزها غير التي ذكرناها من بنينها القمع والمنع، الصحافة، الاحساس بالغربة والاغتراب، سرعة العصر...الخ.

ومن أبرز العوامل المؤثرة في نشأتها في الوطن العربي والعالمي:

2_1 سرعة العصر:

إن العصر الذي نعيش فيه الآن عصر يتسم ب« سرعة فائقة على المستوى الثقافي والحضاري والتقني بله عما يعرفه هذا العصر من تحولات كمية وكيفية هائلة من الصعب ادراكها أو اللحاق بها وهي لا تسمح للقارئ بأي شكل من الأشكال بالتروي أو الانتطار أو الصبر على القراءة المسترسلة المركزة، فعالمنا اليوم فعلا عالم الصخب والفوضى والسرعة»[23] وهذا ما جعلنا بحاجة إلى بروز جنس أدبي يتناسب مع كل هذه المتغيرات« والابتعاد عن كل ما يتخذ حجما كبيرا أومسهبا في الطول كالقصة والقصة القصيرة والرواية والمقال والبحوث الأكاديمية»[24]، إذ أصبح الآن بإمكان أي قارئ الإطلاع وقراءة نصوص أدبية من هذا النوع في السيارات والقطارات والمقاهي نظرا لسهولة استيعابها.

2_2 _ اهمال الكتاب:

لوحظ في السنوات الأخيرة تراجع نسبة المقروئية في الوطن العربي وعزوف حاد عن الكتب والمكتبات اضافة إلى « عزوف القراء عن التعلم والتثقيف الذاتي، وعدم الإقبال على اقتناء الروايات والنصوص والكتب المعروفة بالإسترسال والتطويع والتوسع المطنب أي: التخلي عن الدراسات والأبحاث والكتب والمصنفات التي تتطلب كثرة النفوذ والوقت الكافي، والهدوء التام»[25]، فكانت القصة القصيرة جدا الحل والسبيل إلى رد الاعتبار للكتاب من خلال تشويق القارئ واعمال ذهنه من خلال لغتها وأساليبها.

2_3_ الصحافة:

لعبت الصحافة دورا بارزا في الترويج لهذا الفن، إذا كان لها أثر كبير في انتشارها فكما هو معروف أن وسائل الاعلام هي « الآن أكثر انتشارا من الكتاب وأسرع، إضافة إلى حرصها على مواكبة اليومي[...] فكثير من ق. ق. جدا نشر في الصحف»[26] فقد اهتمت الصحافة بها لكونها

تستغرق حيزا صغيرا تشغله فيها بخلاف القصص والروايات التي تقتضي مساحة ورقية شاسعة.

2_4_ الشعور بالغربة والاغتراب:

إن تزايد مشاكل الإنسان وهمومه جعلته يحس ب« الشعور بالغربة والاغتراب عن المجتمع تقنيا وفكريا في ظل فقر مدقع ، وانشغال بالنفعي الاستهلاكي والإحساس بالضياع والإهمال»[27]، كل ذلك دفع بالكاتب بالإتيان بالجديد عله يغير مشاعر وأفكار الفرد التي يحملها تجاه الواقع من خلال فتح باب تبادل الهموم والمشاكل ومحاولة حلها بأسلوب حواري، وكذا إعادة قراءة الواقع بصورة ايجابية.

2_5_ القمع والمنع:

والمقصود به التهميش والمنع الذي عانت ولاتزال تعاني منه دول العالم الثالث من قبل الدول الكبرى فقد أثر ذلك على حياة الأفراد في المجتمع إذ أنه كان سببا في إحداث معاناة أجيال بأكملها، لكن خصوصية القصة القصيرة جدا بتقنياتها وأركانها وفرت للكاتب فرصا ليعبر عن أحواله القمعية والمنعية التي يعاني منها.

ما يمكن أن نصل إليه في الأخير فيما يخص هذا الجنس الأدبي القديم والحديث في آن (ق. ق.جدا) والذي أفرزته ظروف عديدة جعلت منه الفن الأقرب والمحبب إلى جمهور القراء كونه يتلاءم مع مقتضيات العصر الحالي، ولا أحد بإمكانه انكار أنه له جذور ضاربة في التراث العربي ولكنه يكتسي حلة غربية من خلال التأثير والتأثر من خلال توظيفها لتقنيات متعددة من ايجاز وتكثيف ومفارقة بدا يأخذ حظه من الريادة وبدأ يلفت الأنظار إليه من قبل النقاد والدارسين والكتاب.

خلاصة لما سبق ذكره يمكن القول أن الرواية العربية لم تزاحم الشعر العربي على مكانته في الريادة فحسب بل صارت هي الأخرى تحتويه حيث صار الحديث عن شعرية الرواية، إلى جانب بروز قصيدة النثر هذا الجنس الهجين الذي لا هو بشعر ولا هو بنثر لكن تسميتها بهذا الاسم تكفي للقول أن عصرنا صار عصر النثر بامتياز وحدوث نوع من التهميش للشعر الذي كان في عصر من العصور هو المركز لكن مع ذلك نقول أن الشعر هو الصورة الأولية للحياة الإنسانية التي فطر عليها كونه كان ولا يزال الفن المحبب للعديد من الأدباء وحتى المتلقين كونه يخاطب المشاعر الأحاسيس، وكما أشرنا سابقا أن النثر والشعر لا يمكن أن يسيرا منفصلين فمنذ

القديم وحتى الآن ظلا يواكبان التطورات والأحداث جنبا إلى جنب لكن مع حدوث نوع من الجدلية بينهما في التركيز على أحدهما دون الآخر وذلك تبعا لطبيعة ومميزات كل واحد منهما.

كما أنه في عصرنا الحالي لا يمكننا أن نفصل جنسا أدبيا عن الآخر كون الأجناس الأدبية باتت منفتحة على بعضها البض وامكانية احتواء كل واحدة منها على الآخر فالشعر صار متضمنا في الثر وكذلك العكس وبالتالي لا يمكننا أن نقر بتراجع مكانة الشعر ولا باحتلال الرواية والقصة القصيرة جدا مركز الريادة كونها صارت موجودة ومتضمنة مع بعضها البعض في حلة جميلة تعطي للعمل الإبداعي جمالية وتجعل القارئ على اطلاع واتصال دائم بها.

من أهم النتائج المتوصل إليها:

1_ إن الشعر والنثر هما ديوانا العرب منذ القديم وحتى الآن، وإن كان عرف منذ القديم أن الشعر هو ديوان العرب الأول كونه كان يعتمد على الذاكرة والحفظ فوصل منه الكثير بخلاف النثر الذي كان يعتمد على التدوين فضاع منه الكثير لانعدام الكتابة.

2_ ارتكزت الدراسات والأبحاث القديمة على الشعر وأهملت النثر هذا الأخير الذي ظل يساير ويواكب الشعر دون أن يحتل مكانته لكن كان هذا في القديم طبعا، أما ما يلاحظ في السنوات الأخيرة فعلى العكس تماما فقد غدا النثر أو ما اصطلح بتسميته بالسرد يحتل المكانة الأهم وقد ذكرنا في السابق أسباب ذلك.

3_ أصبحت الرواية تحتل المركزية من كافة النواحي سواء من حيث الكتابة والقراءة أو من حيث النقد والتحليل والدراسة ولعل ما ساعد على ذلك هو قدرتها على تصوير واقع الحياة الاجتماعية فالروائي يستعرض من خلالها جوانب هامة ليس في وسع الشاعر التعبير عنها أو حتى التطرق إليها.

4_ القصة القصيرة جدا جنس أدبي أفرزته ظروف العصر الحالي المتميز بالسرعة، والذي بدا يخطو خطوة نحو الأمام على الصعيدين العربي والعالمي.

5_ انفتاح الأنواع والأجناس الأدبية على بعضها البعض جعلها أكثر حظا في الاستمرارية والبقاء وكذا اكثر اقبالا من قبل المتلقي فالشعر لم يمت بل صار متضمنا في الرواية والرواية ازدادت جمالا ورونقا باحتواءها الشعر، والقصة القصيرة جدا احتوت الإثنين معا لكن بشكل مغاير وبأسلوب أكثر ايحاء ودلالة.

الهوامش

1_ سعيد بقطين: الكلام والخبر(مقدمة للسرد العربي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص 51.

2_ أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1994، ص78.

3_ دليلة الباح: المركز والهامش، مفهومه، أنواعه، جذوره، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد الرابع،2012، ص309.

4_ المرجع نفسه، ص308.

5_ أحمد الشايب: أصول النقد الأبي، ص90.

6_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8_ المرجع نفسه، ص91.

9_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

10_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

11_ سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997،ص129.

12_ رمضان بسطاويس محمد: نحو ذائقة نقدية مختلفة للسرد الجديد، مؤتمر أدباء مصر(أسئلة السرد الجديد)، الأجدان الدورة الثالثة والعشرون، محافظة مطروح، القاهر، ط1، 2008، ص100.

13_ عبد الله إبراهيم: المحاورات السردية (التاريخ، والأمم، والسرد)، حوار عيسى الشيخ حسن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان ط1، 2011، ص220.

14_ إدريس الخضراوي: السرد موضوعا للدراسات الثقافية، تبين للدراسات الفكرية والثقافية في اللغة والتاريخ والهوية، العدد7، المجلد الثاني،2014، ص108.

15_ سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص73.

16_ المرجع نفسه، ص74.

17_ يمنى العيد: الرواية العربية (المتخيل وبنيته الفنية)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص7.

18_ عبد الله إبراهيم: المحاورات السردية(التاريخ، والأمم، والسرد)، حوار عيسى الشيخ، ص157.

19_ الشريف حبيلة: الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط1، 2010 ص1.

20_ جاسم العايف: سلمان كاصد ... صنعة السرد، مجلة كتابات، كانون الثاني، 2015، ص3.

21_ يمنى العيد: الرواية العربية(المتخيل وبنيته الفنية)، ص23.

22_ الشريف حبيلة: الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص1.

23_ جميل حمداوي: حوارات مفتوحة مع جميل حمداوي(حوارات حول قضايا الأدب والفن والنقد والقصة القصيرة جدا، ط1، 2016، ص28.

24_ مجدي عبد المعروف حسين أحمد: القصة القصيرة جدا قراءة في التراث العربي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سنار، مايو 2012، ص3.

25 _ جميل حمداوي: حوارات مفتوحة مع جميل حمداوي(حوارات حول قضايا الأدب والفن والقصة القصيرة جدا)، ص30.

26_ أحمد جاسم الحسين: القصة القصيرة جدا(مقاربة تحليلية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، (د/ط)، 2010، ص148.

27_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.